E- ISSN : 2571-9742
DM

الرحلات والمناظرات العلمية بالجزائر الحديثة (منطقة توات نموذجا)

د. سالم بوتدارة
جامعة أم البواقي
salem2900@gmail.com

الملخص:

تنوّعت مظاهر النشاط الثقافي وتعدّدت أوجهه في الجزائر خلال الفترة الحديثة، ولم تعُدْ تقتصر على ما اسودّ من الصحائف نسخاً وتأليفاً، أو على الركون إلى العزلة والإنطواء جمعا وتقييدا. بل انخرط معظم الأعلام في حركية علمية تنافسية، جعلت من الحلّ والترحال سبباً للتزوّد والتأثير، ومن المراسلات العلمية والمناظرات الجدلية سلاحاً للدفاع عن الأفكار والإجتهادات، وسبيلاً للمقارعة والإقناع.

الكلمات الدالة:

الرحلات، المناظرات ،العلمية، الجزائر، توات

.Abstract:

The various aspects of cultural activity have varied in Algeria during the recent period, and are no longer limited to the black sheets of copies and Talifa, or to rely on isolation and convergence and convergence and restriction. But most of the flags were involved in a competitive scientific movement, which made the solution and the relay a reason for the supply and influence, and the scientific correspondence and debates dialectic weapon to defend ideas and jurisprudence, and a means of confrontation and persuasion.

Key words:

Trips, debates, scientific, Algeria, Tuwat

E- ISSN : 2571-9742
DM

شهد الجنوب الجزائري في العصر الحديث حركية ثقافية علمية، مكّنته من أن يتبوّأ مكانة بين الحواضر والمدن المتاخمة له، ساهمت في تفعيلها عوامل موازية، على غرار العامل الاقتصادي التجاري، والعامل الجغرافي الاستراتيجي. وقد تبلورت تلك الحركية بجلاء، وتجسدت بصفة خاصة ملامحها وصورها بمنطقة توات من الجنوب الجزائري، حيث كان التواصل العلمي بين علماء المنطقة وعلماء الحواضر العلمية الأخرى كفاس وتنبكتو وتونس والقاهرة واسطنبول عبر الرحلات العلمية، وعمّ النقاش حول مختلف القضايا والنوازل متمثلا في مناظرات ومحاورات علمية، ونتج عن ذلك كله تنافس ثلّة من العلماء والأعلام عطاءً واجتهاداً، وفي وفرة التآليف والتصانيف، التي شملت مختلف الفنون والعلوم، وفي تناثر المدارس والزوايا عبر ربوع وقصور المنطقة، وأيضا في مختلف العلاقات العلمية التي ربطتها مع عدة جهات.

الرحلات العلمية:

تعتبر الرحلة في طلب العلم مظهرا من مظاهر الحركة العلمية والنشاط الثقافي وهي أحد أهم الأسس التي يرتكز عليها طالب العلم لاكتساب ملكات جديدة، "فلقاء أهل العلوم، وتعدد المشايخ يفيده في تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها، فيجرد العلم عنها، ويعلم أنها أنحاء تعليم، وطرق توصل، وتنهض قواه إلى الرسوخ، والاستحكام في المكان، وتصحح معارفه وتميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين، وكثرتهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم... فالرحلة لابد منها في طلب العلم لإكساب الفوائد، والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"[1].

وعلى هذا الأساس جرت عادة العلماء في السير لأجل الاستزادة من العلم الموجود في بلدانهم، وطلبا للعلم المفقود منها، وطلبا لعلو الأسانيد، كما أن الرحلة سبب في جلب أمهات الكتب وملأ خزائن المكتبات بنفائس المصنفات العلمية، وفيها تحصل الملاقاة بأعيان العلماء ونبهاء الطلبة، مما يرسخ المحبة، فيتراجع العلماء في القضايا لا على وجه التضاد بل على وجه التناصح والتحاور، وفيها يتعرف الطالب على اختلاف العادات وتنوع الأعراف، ويستفيد من مناهج العلماء في التعامل مع تلك الأعراف وهاتيك العادات، وتكسب الرحلة الطالب ملكة لتمييز قوي العلوم من ضعيفها، وما هو الأولى منها، وتعطيه قدرة على أنماط تعليمية لم تكن ببلده.

لقد أدرك التواتيون كغيرهم من الجزائريين فوائد الرحلة، فشدوا الرحال لتقصيها وتحصيلها.

والظاهر أن كتابة الرحلات وتدوين المحطات أصبحت ظاهرة مألوفة طغت على مساهمات الجزائريين الثقافية عموما خاصة خلال القرن 12هـ، فكانت بعض رحلاتهم نتيجة للحج، وبذلك تكون رحلات حجازية وبعضها لطلب العلم، وبذلك تكون رحلات علمية.[2]

أ- **الرحلات الحجازية**:

يعتبر الحج مناسبة لالتقاء العلماء من مختلف الديار والمشارب، فهو بالنسبة لهم ولطلبة العلم رحلة دينية وعلمية يلتقي أثناءها كبار الشيوخ والفقهاء في المراكز التي يمرون بها، ويحضرون مجالسهم التعليمية لمدة قد تقصر أو تطول أخذا وعطاءً، وقد تمنح خلالها إجازات من هؤلاء العلماء للطلبة الذين يلتقون بهم في هذه المراكز العلمية، فيضيف الطالب سندا علميا جديدا إلى سنده أو إجازة أخرى إلى إجازته[3].

وقد يكون المتنقل في الرحلة شيخا علما يفيد المتنقلين معه في الحل والترحال، وقد يأخذ عنه كذلك من ينزل عندهم في طريقه كالذي حصل مع الشيخ عبد الرحمان بن عمر أثناء رحلته للحج التي شرع فيها رفقة ركاب الحجيج سنة 1188هـ/ 1774م، حيث يتحدث عن نزوله بقرية زويلة قاعدة فزان[4] في القديم قائلا:" اجتمع عليّ طلبتها مع طالب من الحمر يسألون عن مسائل، منهم من يسأل امتحانا ومنهم من يسأل مستفيدا"[5].وقد كان أيضا بهذه الرحلة محطات علمية بين الشيخ عبد الرحمان بن عمر وبين الفقهاء الذين إلتقاهم في طريقه، وأثناء عودته من الحج ونزوله بالقاهرة يحكي قائلا:" وأقبل علي الفقهاء واعتقدوا فيّ ما لست له أهلا، يأتون أفواجا للدعاء ويقدمونني للصلاة إذا حضرت الصلاة"[6].

ونجد في فهرسة الشيخ عبد الرحمان أنه التقى بعالمين جليلين هما أحمد بن الحاج الأمين الغلاوي[7] في زاوية أقبلي أثناء ذهابه إلى الحج، فطلب منه الإجازة، والشيخ أبو عبد الله الدرعي الذي التقى به في قصر زاجلو بعدما كان في ركب الحجيج لسنة 1147هـ/ 1734م، وأخذ عنه الصحيحين والشفاء للقاضي عياض، والجامع الصغير وبعض المتون، وقد أجازه في كل ذلك[8].

كان للشيخ أبي زيد عبد الرحمان الجنتوري أيضا رحلة إلى الحج، ورغم أنه لم يدوّنها إلا أنه كان يشير إليها من موضع إلى آخر في نوازله في معرض الحديث عمن لقيَهم من العلماء في الحجاز والمشرق عموما، والمسائل التي استكشفهم فيها[9]، حيث يشير أنه التقى الشيخ أبي نعامة القبلاوي في حجته الأولى فصحبه من مصر إلى عين صالح من بلاد تيدكلت، فأجازه وأثنى عليه".[10]

وباعتبار توات معبرا لركب الحجيج التكروري الذي كان يضم علماء أجلاء جلسوا للتدريس خلال فترات الراحلة وقد اغتنم طلبة توات تلك الفرصة للأخذ والاستزادة والحصول على الإجازات العلمية، وشراء الكتب ونسخها، كما حصل أثناء حج الشيخ أبو بكر بن الطالب محمد بن الطالب البرتلي(ت 1199هـ/ 1785م) وذلك سنة[11] 1151هـ/ 1744م، والذي أتى بخزانة نفيسة[12] من الكتب اقتناها من الحج ومن دون شك نسخ البعض منها في توات.

ب- الرحلات العلمية:

يعرفها أبو القاسم سعد الله أنها تلك الرحلات التي قام بها أصحابها بغرض طلب العلم والزيادة والاطلاع على البلدان عموما والأخذ عن علمائها وممارسة التجارة فيها أحيانا[13]، لذا نجد طلبة توات لما أدركوا هذه القيم السامية للرحلة العلمية شدوا الرحال لتحصيلها، فتنوعت بذلك رحلاتهم بين الداخلية نحو المراكز العلمية والخارجية نحو الحواضر العلمية الأخرى.

ومن أمثلة الرحلات والتنقلات الداخلية تلك التي قام بها الشيخ محمد بن أبّ المزمري حيث رحل من مسقط رأسه بأولف ليتتلمذ على الشيخ عمر بن محمد المصطفى الكنتي بزاوية كنتة، ثم رحل بعدها إلى تمنطيط ومكث بها كثيرا لأخذ العلم عن علمائها البكريين، ثم تحول للتدريس واستقر أخيرا بتيميمون[14]، وقد انتقل البكري بن عبد الكريم من بلدة تمنطيط إلى أوقرت ليتتلمذ على شيخها محمد بن علي الوقروتي،[15] وسافر عبد الرحمان الجنتوري مرات عديدة إلى مركز عين صالح.[16]

كما حلّ أحمد بن يوسف التنلاني بتمنطيط ليحضر مجلس الشيخ عبد الكريم بن أمحمد التواتي[17]، وانتقل الشيخ علي بن حنيني[18] (1703م) من بلدة زاجلو والى مجلس الشيخ علي النحوي الأوقروتي بأوقرت، كما نزل امحمد عبد الرحمان بن الجوزي[19] (ت 1148هـ/ 1735م) بتنلان قادما من تيميمون ليتتلمذ على الشيخ عمر بن عبد القادر التنلاني، وقلده في تنقله هذا ابن بلده أحمد يوسف بن عبد الكريم الجوزي (ت 1251هـ/ 1835م).[20]

لقد رافق عبد الرحمان بن عمر التنيلاني شيخه عبد الرحمان الجنتوري من تينيلان الى جنتور فأخذ عنه هناك جملة من المنقول والمعقول.[21] والمتتبع تراجم علماء توات يجد أن السواد الأعظم منهم تنقل بين المراكز العلمية حتى أصبح ذلك ديدنهم الذي يتتبعون به الشيوخ الأكفاء لحضور مجالسهم وان باعدت بينهم المسافات، وتطلب منهم ذلك قطع الفيافي.هذا غيض من فيض عن تنقلات طلبة العلم

E- ISSN : 2571-9742
DM

التواتيين داخل منطقتهم توات، أما عن رحلاتهم الخارجية نحو الحواضر والأمصار العلمية الأخرى فهي كذلك كثيرة خاصة ما كان منها إلى الحواضر المجاورة كفاس وتمبكتو.

ونجد من أشهر هذه الرحلات العلمية، رحلة عمر بن عبد القادر التنلاني الذي رحل إلى فاس ولقي أكابر العلماء وجالسهم واستفاد منهم استفادة عظيمة، بل انه تمكن حتى أصبح من المفيدين بفاس، له حلقة درس بالمدرسة المصباحية، ثم انعقد له مجلس بجامع القرويين[22].

ومن الرحلات العلمية الشهيرة بالمنطقة، رحلة الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني إلى سجلماسة قاصدا شيخه صالح بن محمد الغماري وقد مكث عنده حتى ختم القرآن كاملا، ورحلته إلى بلاد التكرور بمعية شيخه عمر بن محمد بن المصطفى بن أحمد الرقادي الكنتي[23] والتي دامت شهرا زار خلالها عدة أماكن في الساحل الإفريقي حيث نزل بتاودني[24] ومنها انتقل إلى أروان[25]، حيث التقى بالشيخ أحمد بن صالح السوقي التكروري، ومن أروان توجه إلى قرية المبروك ولم يلبث بها كثيرا فعاد إلى توات.[26]

يذكر البرتلي شخصية تواتية كان لها صدا عميقا في منطقة التكرور وهو أبو القاسم التواتي إمام المسجد الجامع في تنبكتو.[27]ومن الذين رحلوا إلى بلاد السودان الغربي، القاضي سالم العصنوني الذي تنقل إلى هناك قائما بأمر الدعوة إلى الله وإرشاد الناس فأسلم على يديه خلائق لا تحصى ثم رجع إلى توات وولي خطة القضاء.[28]وزار تلك المنطقة كذلك الشيخ علي ابن أحمد بن علي بن أحمد الرقادي الكنتي وقد تأثر به عدد كبير من التكروريين لغزارة علمه وتفقهه.[29]

أما الشيخ محمد بن اسماعيل الجراري فقد تنقل إلى المشرق حيث التقى في مصر بالأكابر فأخذ عنهم كالشيخ اللقاني، وتذكر المصادر أنه ذهب إلى العراق فقصد ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني فلقي وزير السلطان العثماني[30] معزولا من الوزارة خائفا من عائلة السلطان، فطلب منه الدعاء لما وسم فيه سمات الصلاح فدعا له وكان من قدر الله أن رجع هذا الوزير إلى الوزارة وسافر الشيخ الجراري إلى اسطنبول فاجتمع به، فأكرمه الوزير وأعطاه خزانة عظيمة من الكتب نقلها إلى مسقط رأسه فاستفاد وأفاد[31].أما القاضي البكري بن عبد الكريم الأمريني فقد شد الرحال إلى مراكز العلم ومواطن العلماء، فزار مراكش وفاس، وأقام بالجزائر العاصمة عند شيخه سعيد قدورة الجزائري مفيدا ومستفيدا حتى توفي هذا الأخير، ولقي في طريق الحج الأكابر فأجاز واستجاز بتونس وطرابلس الغرب ومصر والشام والعراق والحرمين[32].

E- ISSN : 2571-9742
DM

ومن الذي رحلوا في طلب العلم أيضا: الشيخ محمد بن أبّ المزمري، الذي رحل إلى فاس وسجلماسة بالمغرب ودرس في الأخيرة على يد الشيخ أبو اسحاق سيدي ابراهيم، كما زار تمبكتو وأروان بأرض السودان[33]، والشيخ أحمد زروق بن صابر البوداوي الجعفري الذي درس في فاس□□، أما الشيخ الشاذلي بن عمر بن عبد القادر التنلاني فقد تنقل في طلب العلم إلى فاس، وتوفي بها عام 1173هـ/ 1759م، ومثله الشيخ محمد بن عبد الرحمان أبي زيان التنلاني الذي توفي بها عام 1181هـ/ 1767م.[35]

ونجد في ترجمة القاضي أمحمد عبد الله بن عبد الكريم التزدايتي الجراري، أنه رحل إلى فاس وتلمسان وفجيج فأخذ العلم عن الشيخ عبد القادر بن محمد السماحي المعروف بسيدي الشيخ، وجمعته الرضاعة العلمية بالشيخ أحمد بن عبد الله بن أبي محلي السجلماسي، والشيخ محمد بن عبد الجبار الفجيجي، وحصل له احتكاك بأعلام الزوايا هناك بالمغرب.[36]

أما القاضي عبد الكريم الأمريني فقد رحل في طلب العلم فلقي العلماء بالصحراء الكبرى والمشرق والمغرب، فأخذ العلم عنهم كالشيخ أحمد بابا التنبكتي، والشيخ محمد عبد الحاكم ابن عبد الكريم الجراري، والشيخ سعيد بن ابراهيم قدورة الجزائري، والشيخ عبد الرحمان ابن علي السجلماسي، والشيخ أحمد بن بومعزى، والشيخ أحمد بن عبد الله بن أبي محلي السجلماسي، والشيخ علي الأجهوري المصري، والشيخ أحمد المقري التلمساني نزيل القاهرة وغيرهم.[37] ومن الحاضرين حلقات العلم بفاس، الشيخ أمحمد بن أبي محمد الأمريني الذي انتقل من تمنطيط ليأخذ الفقه عن الشيخ المنجور والنحو عن أبي عبد الله محمد بن مجير، والقراءات عن محمد العدي، والحساب والهندسة عن يعقوب البدري، واستفاد من غيرهم من علماء فاس، ومن كان يزورها من أعلام الحواضر القريبة.[38]وارتحل الشيخ محمد بلعالم الزجلاوي الى بلاد التكرور، حيث مارس مهنة التدريس والإفتاء كما زار مناطق عدة في تلك البلاد فأفاد واستفاد.[39]

والجدير بالذكر أن جلّ هذه الرحلات التي قام بها الشيوخ وطلبة العلم التواتيون لم تدون حيثياتها ولم تفرد لها صفحات خاصة، فكانت بذلك كتب الرحلات قليلة مقارنة بعدد الرحلات التي استقيناها من تراجم هؤلاء الأعلام.

ولعل هذا الوضع لا يقتصر على رحلات التواتيين فقط فقد شمل كل الرحلات الجزائرية في ذلك العصر، حيث يؤكد أبو القاسم سعد الله أن الجزائريين بالقياس إلى كتّاب الرحلات المغاربة، كانوا

E- ISSN : 2571-9742
DM

قليلي الإنتاج، ولعل ذلك راجع إلى أن عددا من العلماء الذين توزعوا في العالم الإسلامي لم يعودوا إلى الجزائر ليكتبوا ملاحظاتهم إلى مواطنيهم، فلو رجع عيسى الثعالبي ويحيى الشاوي وأحمد المقري وأحمد عمار وأضرابهم لكتبوا رحلاتهم ولكنهم لم يفعلوا[40].

وفي هذا السياق أقول لولا لطف الله بوجود رفقة مع الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني صاحب الرحلة الشهيرة، والذي توفي بالقاهرة في رحلة العودة من الحج، لما وصلتنا رحلته الحجازية التي تعتبر من الرحلات الرائدة بامتياز وذلك أنه سجل في ثناياها كل ما ارتبط بمحطاتها ضبطا ووصفا، وما أحاط بمجرياتها من لقاءات ومحاورات علمية، إضافة إلى حديثه عن المزارات التاريخية في توات وفزّان وطرابلس ومصر والحجاز وغيرها، وذكر الوقائع والمواقف الحرجة التي تعرض لها الركب في غدوه ورواحه، والمظهر الجغرافي المتمثل في استذكار الجبال والوهاد والبسائط والوديان والدروب التي مرت بها القافلة منذ انطلاقها من قصر تنلان، والوجه الثقافي الذي جسدته الإشارة إلى بعض الشخصيات التي صادفها التنلاني في طريقه أو نزل عندها، وقد ساهم زمن الرحلة الذي تجاوز نصف السنة في إثراء جوانبها.

المناظرات والمحاورات العلمية:

المناظرات العلمية فنّ يراد به إثبات قول أو نفيه، يجري بين اثنين أو يزيد، وهو فن قديم عرف خاصة في المناطق ذات الحركية العلمية وعند الشعوب التي تميزت بنشاطاتها الثقافية.وقد بدأت المنطقة التواتية تعرف مع مطلع العصر الحديث حركة علمية اعتبرت عاملا في تبلور هذا الفن وشيوعه في أرجاء توات، يضاف إلى ذلك انتشار المذهب الملكي في بلاد المغرب قاطبة، مما جعل المناظرات العلمية – التي مالت معظمها إلى المسائل الفقهية– تتعدى المنطقة الواحدة لتشمل ربوع بلاد المغرب الإسلامي بما فيها توات، لتجسد دورا مهما تمثل في إخراج العلوم من دائرة التلقين والتلقي إلى دائرة النقاش والبحث.

وقد مثلت تلك المحاورات سبيلا للتواصل الفكري بين علماء توات بمناطقها الثلاث فيما بينهم من جهة، وفي مواجهة أترابهم المغاربة وغيرهم من جهة أخرى، ووسيلة إلى توحيد الأفهام والاجتهادات، بيد أن الغرض منها لم يكن لأجل شهرة أو استعراض معارف وقدرات، بل من أجل إظهار الحق والرجوع إليه، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة، فاشتد الصراع اثر ذلك بين عباقرة أعلام، تصارعوا في سبيل العلم قصد بيان الحق الشرعي وإعلاء كلمته[41].

E- ISSN : 2571-9742
DM

أ- بوادر المناظرات العلمية في توات:

إن الدارس لتاريخ المنطقة التواتية يلحظ أن فن المناظرات فيها بزغ جليا مع مطلع العصر الحديث وتحديدا بقدوم الشيخ محمد ابن عبد الكريم المغيلي إلى المنطقة حاملا معه منهجا جديدا في الدعوة والتدريس يعتمد أساسا على إقامة الحجة بالمنطق والمعقول استنادا إلى المنقول، فقد كان المغيلي من الداعين لاستعمال علم المنطق كوسيلة لإدراك الحق، وذاك ما أكده في مناظرته الشعرية الشهيرة مع الشيخ جلال الدين السيوطي الذي كان يرى غير ما ذهب إليه المغيلي.وقد أورد الشيخ أحمد بابا التمبكتي في كتابه نيل الابتهاج بعضا من هذه المحاورة، فمما كتب المغيلي مدافعا عن استعمال المنطق وراسل به السيوطي قوله:

سمعت بأمر ما سمعت بمثله *** وكل حديث حكمه حكم أصله
أيمكن أن المرء في العلم حجة *** وينهي عن الفرقان في بعض قوله

وكان من ردّ الإمام السيوطي على الإمام المغيلي حول التقليل من شأن المنطق قوله:

حمدت إله العرش شكر لفضله *** وأهدى صلاة للنبي وأهله
عجيب لنظم ما سمعت بمثله *** أتاني عن حبر أقر بنبله[42]

ومن أشهر المحاورات التي ارتبطت بتاريخ توات كانت تلك المعروفة بنازلة يهود[43] توات التي أثارها الإمام المغيلي حول إجلاء اليهود من المنطقة وهدم بيعهم، وعندما وجد معارضة لرأيه من قاضي توات أبي بكر العصنوني راسل في ذلك علماء فاس وتونس وتلمسان، فأدلى كل منهم برأيه حول القضية التي شكلت مناظرات حادّة عمت ربوع بلاد المغرب.

ورغم كثرة المناظرات في الفقه وتميزه بذلك لتعلقه بالأحكام الشرعية، إلا أن تلك المناظرات التواتية لم تقتصر على مجال الفقه فقط، بل شملت فنونا أخرى نالت حظها من الجدل العلمي كذاك الذي كان يقع في النحو والأدب بين الشيخين محمد بن مزيان التواتي (ت 1031هـ/ 1622م)، ومحمد بن راشد الزواوي (ت 1033هـ/ 1624م)، حيث يصوّر تلميذهما عبد الكريم ابن الفكون القسنطيني[44] في كتابه" منشور الهداية" تلك المناظرة الحادة بين شيخيه، المصحوبة بمظاهر الانفعال والغضب قائلا: "وكان صاحبنا[45] يقف له[46] في البحث ولا يسلمه له، وكان عمدة نظر صاحبنا ابن بابشاذ[47] على الجمل وعمدة نظر الشيخ سراح التسهيل فلم يتواردا على مورد واحد، وكثيرا ما يلجئه

E- ISSN : 2571-9742
DM

الأمر أعني الشيخ إلى سبه الصاحب... ويبطل درس ذلك اليوم، كل ذلك لا يثني الطالب عما أراده ولا الشيخ عما يلقيه لله درهم أجمعين، كانت سيرتهم محمودة، وآثارهم مشهودة، وسقطاتهم معدودة".[48]

ب – أشهر المحاورات في توات:

بانتعاش الحركة العلمية بتوات خلال العصر الحديث انتعشت معها المحاورات التي جرت بين كثير من علمائها، وقد تجري بين مركز وآخر من المراكز العلمية المنتشرة في ربوع المنطقة التواتية، ومرد ذلك إلى الاختلافات الفقهية بسبب التباين الجلي في الاجتهاد في الفتوى، وتفاوت التقدير والاستنباط المتعلق بالنوازل والمستجدات، ومن أشهرها ما يلي:

- محاورة بين الشيخ محمد بن أبّ وعلماء زاجلو منهم محمد بن أحمد العالم الزجلاوي ومحمد بن محمد العالم، وذلك حول قضاء دين الميت مما صولح عليه من دية العمد وهل تدخل فيه الوصية[49].
- محاورة بين علماء تينيلان وعلماء تمنطيط موضوعها حول المريض مرضا مخوفا ومدى صحة ما أمر به من حبوس وحيازات[50].
- محاورة بن علماء ملوكة وزاجلو في مراجع الأحباس[51].
- محاورة بين علماء كوسام من توات الوسطى ومجموعة من علماء أقبلي من تيدكلت، حوتها أربع رسائل متبادلة بين الطرفين حول صحة الصلاة في الغار وتحت الهدم وبطلانها.[52]
- محاورة بين الشيخين عبد الرحمان الجنتوري وأبي حفص عمر بن عبد القادر التنلاني حيث جرى بينهما كلام طويل في نازلة متعلقة بثلث الوصية[53].

إن المتأمل في نصوص هذه المحاورات بين العلماء يلمح مدى حرصهم على التقيد بآداب المناظرة، ومدى تواضع بعضهم لبعض، رغم ما كان – في الوقت نفسه– من حرصهم على إفحام المناظر وإقناعه بالحجة والدليل، ومثال عبارات حسن الحوار كثيرة، لعل أبرزها اصطحاب تسمية الطرف النظير بعبارات التقدير والدعاء القصير، والاعتراف بعلمه وفضله، وهذا كله نابع من يقينهم أن الأمر لا يعد على أن يكون مجرد اختلاف في الأفهام بخصوص ما تعلق بالفقه منها، فالبعض كان حريصا على النظر في أصول المسائل، بينما حرص البعض الآخر على النظر في خصوصيات النوازل.

E- ISSN : 2571-9742
DM

وخلاصة ما تقدم أن للرحلات والمناظرات العلمية أثر على الحياة الثقافية بالمنطقة، فقد طورت من مناهجها وأساليبها الدراسية، ووسعت من علاقات علماء المنطقة بأعلام الحواضر الأخرى، وأمدت المنطقة بكمّ هائل من نفائس أمهات وذخائر الكتب، ووصلت علومهم بأسانيد ومرجعيات راسخة عن ثقات الأمة ورجالها.

الإحالات:

[1]– ابن خلدون، عبد الرحمان، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001، ص 614.

[2]– سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ط 2، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 2005 ، ج 2، ص 381.

[3]– أحمد رمضان، أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للطباعة والنشر، جدة، السعودية، ص 11.

[4]– فزّان: هي منطقة تاريخية في الجنوب الغربي من ليبيا الحالية، معظمها أراضي صحراوية وتكثر بها الجبال الصخرية والمرتفعات والأنهار الجافة والواحات، يقول عنها ياقوت الحموي: فزّان بفتح أوله وتشديد ثانيه وآخره نون، ولاية واسعة بين الغيوم وطرابلس الغرب، بها نخل كثير ومدينتها زويلة السودان، والغالب على ألوان أهلها السواد، ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، ج 4، ص 260، باب الفاء والزاي وما يليهما. وكذلك: عبد العزيز طريح شرف، جغرافيا ليبيا، ط 2، منشأة المعارف، الأسكندرية، 1971، ص 232– 233.

[5]– عبد الرحمان بن عمر، التينيلاني، الرحلة الحجية، مخطوط بخزانة تنلان، أدرار، ص 10.

[6]– عبد الرحمان بن عمر ، التنلاني، نفسه، ص 18.

[7]– أحمد ابن الحاج الأمين ، الغلاوي التواتي، شيخ ركب الحجيج من بلاد التكرور حتى يصل إلى توات، توفي بفزّان بليبيا عند رجوعه من حجته الأخيرة سنة 1157هـ، ينظر: البرتلي، محمد بن أبي بكر الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي بيروت 1981، ص48.

[8]– عبد الرحمان بن عمر، التنلاني، المصدر السابق، ص 54– 55.

[9]– عبد الرحمان ، الجنتوري، نوازل الجنتوري: مخطوط بخزانة الصوفي، بدريان، أدرار، الجزائر.ص 28.

[10]– عباس، عبد الله، الدور الحضاري لاقليم توات، الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعتي أدرار وتيارت، العلاقات الحضارية بين اقليم توات وحواضر المغرب الاسلامي، أدرار: 14– 15 أبريل 2009، ص 259.

[11]– البرتلي، أبو عبد الله الولاتي، فتح الشكور في معرفة علماء التكرور، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 78.

[12]– جعفري، مبارك، تنقل علماء توات، وتأثيرهم في السودان الغربي خلال القرن 12ه/ 18م، الملتقى الوطني الرابع، جامعة أدرار، اسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية ابان العصر الحديث 1500م– 2000، أدرار، 19– 20 أبريل 2010، ص 146.

E- ISSN : 2571-9742
DM

[13] – أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 2، ص 382– 383.

[14] – جعفري، أحمد، محمد بن أبّ المزمري، محمد بن أبّ المزمري حياته وآثاره، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2004م، ص 54.

[15] – بكري، عبد الحميد، النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9 إلى القرن 14هـ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط 1، 2005، ص 130.

[16] – عبد الرحمان، الجنتوري، المصدر السابق، ص 71.

[17] – مؤلف مجهول، تقييد نسب العائلة التنلانية، مصدر سابق، ص 1.

[18] – الشيخ علي بن حنيني الزجلاوي ولد خلال القرن 11هـ/ 17م، بقصر زاجلو بتوات الوسطى تعلم على يد الشيخ علي النحوي الوقروتي ثم رجع الى مسقط رأسه فاشتغل بالتدريس وبنى زاويته المشهورة التي توفي بها سنة 1115هـ/ 1703م. ينظر: تهامي، غيتاوي، سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات، منشورات الديوان الوطني للنشر والإشهار، الجزائر، 2005، ج 2، ص 7.

[19] – القاضي أمحمد عبد الرحمان بن الجوزي– الجد– ولد بقصر أولاد القاضي بتيميمون من أسرة مشهورة بالعلم وحفظ القرآن وأخذ العلم عن والده، ثم انتقل الى مجلس الشيخ عمر بن عبد القادر التنلاني، وان كان أصغر منه سنا، ثم أسس مدرسة علمية في قصر عبد اللي بتيميمون واشتغل بالتدريس فتخرج عليه جماعة من أعيان العلماء منهم : الشيخ عبد الكريم الاغادي والشيخ أحمد العبدلاوي وأحمد الخضير الواجدي وغيرهم، تولى القضاء والإفتاء حتى توفي سنة 1148هـ/ 1735م، ينظر: عبد الرحمان، الجوزي، ذاكرة الماضي في تاريخ أولاد القاضي، د. ط، د. ت، ص 74.

[20] – الشيخ أحمد يوسف بن عبد الكريم الجوزي، ولد بقصر أولاد القاضي بتيميمون فأخذ مبادئ العلم عن والده ثم انتقل إلى مجالس الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني فقضى فيها أيامه مما أهله للتدريس في بلاده لما رجع إليها، ولي القضاء فسلك مسلك العدل والانصاف حتى وافته المنية بالمدينة المنورة سنة 1251هـ/ 1835م، ينظر: عبد الرحمان الجوزي، المرجع نفسه، ص 87.

[21] – محمد باي، بلعالم، الغصن الداني في ترجمة عبد الرحمن بن عمر التنيلاني، دار هومة، الجزائر ، ص 6 ومابعدها.

[22] – عبد القادر بن عمر المهداوي، الدرة الفاخرة في ذكر مشايخ التواتية، مخطوط بخزانة شاري الطيب، كوسام، أدرار، الجزائر ، ص 12.

[23] – باعثمان عبد الرحمان، فهرسة عبد الرحمان بن عمر التواتي، دراسة وتحقيق، رسالة ماجستير في التاريخ العام، إشراف: محمد بن معمر، جامعة بشار، قسم التاريخ،، ص 54– 55.

[24] – تاودني: قرية قامت حول سبخة الملح الشهيرة باسم تغازي، تبعد عن تمبكتو بعشرة أيام، مما أعطاها أهمية في التعاملات التجارية حيث شكلت همزة وصل بين بلاد المغرب وتنبكتو، ينظر: الغربي محمد، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت(د.ت) ج 1، ص 87.

[25] – أروان: مدينة في بلاد التكرور، بينها وبين تنبكتو ثمانية مراحل إلى الشمال وتقع الآن ضمن النطاق الحدودي لجمهورية مالي، ينظر: أحمد بن بايكر الأرواني، السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكتو البهية، مخطوط بالمكتبة الزيدانية للثقافة، نيامي، النيجر، ص 8.

[26] – محمد باي بلعالم، الغصن الداني في ترجمة عبد الرحمان التنلاني، مرجع سابق، ص 24.

E- ISSN : 2571-9742
DM

[27]– البرتلي، المصدر السابق، ص 97.

[28]– محمد بن عبد الكريم، بكراوي، الكواكب البرية في المناقب البكرية، خزانة أولاد القاضي البكرية، تمنطيط، أدرار، الجزائر ، ص 20.

[29]– البرتلي، المصدر نفسه، ص 200– 201.

[30]– لم يتسنّ لي معرفة ذلك الوزير ولعله كان في عهد السلطان مراد الرابع الذي حكم مابين 1623م– 1640م.

– محمد بن عبد الكريم بكراوي، المصدر السابق، نسخة المطارفة، ص 9. 31

– عبد العزيز، سيد عمر، قطف الزهرات من أخبار علماء توات، ط 2، دار هومة، الجزائر 2002، ص 119. 32

– جعفري، أحمد، محمد بن أبّ المزمري، مرجع سابق، ص 64. 33

– عبد القادر بن عمر، التنلاني، المصدر السابق، ص 5. 34

– نفسه، ص 4. 35

[36]– عبد الرحمان ، الجوزي، المرجع السابق، ص 19.

[37]– عبد القادر بن عمر، المهداوي، الدرة الفاخرة، مصدر سابق، ص 3.

[38]– عبد الكريم بن امحمد، التواتي، الرحلة في طلب العلم، نسخة مخطوطة بخزانة الشيخ أحمد ديدي بتمنطيط، أدرار، الجزائر، ص 1.

[39]– جعفري، أحمد، الحركة الأدبية في منطقة توات خلال القرنين 12– 13هـ، رسالة دكتوراه في الأدب، جامعة تلمسان، 2007، ص 321.

– أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 2، ص 381، 382. [40]

– محمد باي، بلعالم، الرحلة العلية، مرجع سابق، ج 2، ص 80. 41

[42]– أحمد بابا، التمبكتي، أحمد بابا التمبكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، فاس، د .ن، دت، ص 578– 579.

[43]– للاطلاع على حياة الشيخ المغيلي وقصته مع يهود توات ومأحاط بها من جدل فقهي واجتماعي ينظر: أحمد بابا، التنبكتي، المصدر نفسه، 576

[44]– عبد الكريم الفكون القسنطيني: هو عبد الكريم الفكون بن محمد بن عبد الكريم الفكون التميمي القسنطيني، ولد سنة 1580من عائلة عرفت بالعلم والمال والجاه، كانت دراسته محلية عصامية فلم يدرس خارج قسنطينة حيث درس على يد والده والشيخ محمد التواتي ومحمد بن راشد الزواوي ثم جلس للتدريس بالجامع الكبير قسنطينة وألف تآليف كثيرة شملت الأدب والنحو والاجتماع والدين، أبرزها: منشور الهداية، توفي سنة ، ينظر: عبد الكريم ، الفكون، منشور الهداية، ص 7 وما بعدها.

[45]– يقصد الشيخ محمد بن راشد الزواوي.

[46]– يقصد الشيخ محمد بن مزيان التواتي.

[47]– ابن بابشاذ: هو أبو الحسن طاهر بن أحمد، المتوفي سنة 469، وله عدة مؤلفات في النحو منها شرح الجمل للزجاجي، ينظر: عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، ط 1، دار الغرب الاسلامي،بيروت 1987م، ص 107– 108.

[48]– نفسه، ص 108.

E- ISSN : 2571-9742
DM

[49]– محمد باي، بلعالم، الرحلة العلية، مرجع سابق، ج2،ص 99– 100.
[50]– نفسه، ص 86. 50
[51]– نفسه، ص 93. 51
[52]– نفسه، ص 101. 52
[53]– عبد الرحمان، الجنتوري، المصدر السابق، ص 129. 53